مدونة سعيد بن جبير في التفسير
دراسة نقدية حديثية

د. محمد مختار المفتي

(Said Bin Jubeir Record In Interpretation (Tafseer)

A critical Prophetic Tradition

ABSTRACT

Said Bin Jubeir's Abstrsct (D.94H) record was one of the first records which collected interpretation's narrations in the second half of the first Hijri century, quoted by Ibn Abi Hatem Al- Razi (D. 327 H) in his interpretation (Glorious Qur'an Attributed by the Messenger of Allah peace be upon him, his companions and partisans). This source was one of the different well-known mother books of interpretation which reserved the narrations of this record, and from this sole source the distinguished interpreters took their narrations.

This research was considered an attempt to induce and follow methods and sources of this interpretation to evaluate this record and the conditions of men of source on the part of Prophetic Tradition (Hadith) and criticism of narrations.

تاريخ تسلم البحث: 2003/3/25 تاريخ قبول البحث: 2003/9/7

ملخص

كانت مدونة سعيد بن جبير (ت94هـ) من أوائل المدونات التي جمعت مرويات التفسير في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، التي نقلها ابن أبي حاتم الرازي (ت327هـ) في تفسيره (القرآن العظيم مسندا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين) فقد كان هذا المصدر بين مختلف أمهات كتب التفسير المعروفة الذي احتفظ بمرويات هذه المدونة، ثم عن هذا المصدر الوحيد أخذها أعلام المفسرين.

وجاء هذا البحث محاولة لاستقراء وتتبع طرق وأسانيد هذا التفسير لتقويم هذه المدونة وأحوال رجال إسنادها في جانب علم الحديث ونقد الروايات.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.

أما بعد:

فقد كان دافعي للكتابة عن مدونة التفسير المنسوبة لابن جبير هو إثارة الانتباه إلى التفسير الثاني للقرآن الكريم الذي ربما يكون ظهر للوجود بين العقدين السابع والثامن من المائة الأولى للهجرة، وقد حفزني لهذا الموضوع ما اطلعت عليه من كتابات تتصل بابن جبير وتفسيره بعضها- للأسف- رسائل أكاديمية تمنح بها درجات علمية في التفسير والدراسات القرآنية ينفق أصحابها أعمارهم ويبلون الأوراق لجمع ما عدوه تفسير ابن جبير اعتمادا على ما تضمنه "جامع البيان" لابن جرير الطبري (ت310هـ)[1]، ولا يعلم أصحاب هذه الكتابات أن تفسير هذا التابعي الجليل من أهم التفاسير في عصر التدوين، ولا يقل اهمية عن تفسير مجاهد بن جبر (ت 104هـ)، وقد خلف سعيد بن جبير تفسيراً للقرآن الكريم وردت إشارات متفرقة إليه في تراجم رواته

ضمن كتب الجرح والتعديل وكتب تاريخ الرواة.

وزاد من جهل الدارسين بهذه المدونة تأخر نشر كتاب " تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول والصحابة والتابعين " لحافظ الري وابن حافظها عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت327هـ)، فقد كان هذا المصدر بين مختلف أمهات التفاسير المعروفة هو الوحيد الذي احتفظ لنا بمرويات هذه المدونة، ولم يكتب له أن يطبع ويتداوله الباحثون والقراء إلا في السنوات الأخيرة[2].

وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث:

تكلمت في الأول عن تطور علم التفسير من مرحلة الكتابة- في طور النشأة - إلى مرحلة التدوين.

وعرضت في المبحث الثاني لمدونة سعيد بن جبير وطرق روايتها حتى وصلت إلى حافظ الري وابن حافظها عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت327هـ).

وخصصت المبحث الثالث لتقويم هذه المدونة وأحوال رجال إسنادها.

المبحث الأول

التفسير من مرحلة الكتابة إلى مرحلة التدوين

إن دراسة تاريخ نشأة العلوم الاسلامية وتطورها تظهر للباحث - بما لا يدع مجالا للشك - أن هذه العلوم من تفسير وحديث وفقه وما إلى ذلك قد تدرجت خلال فترة النشأة في مراحل ثلاث: مرحلة الكتابة ثم التدوين ثم التصنيف؛ وإذا كانت المرحلة الأولى قد استغرقت نصف القرن الأول الهجري، فإن مرحلة التدوين قد امتدت طوال النصف الثاني من القرن الأول وجل القرن الثاني لتبتدئ بعد ذلك مرحلة التصنيف أي التأليف الجامع...

المطلب الأول

التفسير في طور الكتابة

وتعني الكتابة مجرد التقييد والتسجيل، فقد اتخذ بعض كبار الصحابة وصغارهم – رضي الله عنهم – خلال هذه الفترة المبكرة صحفا كتبوا وسجلوا فيها بعض مرويات التفسير مما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم.

فكانت مرحلة الكتابة أول مرحلة في عملية نقل التفسير، وقد انطبعت بمميزات خاصة، سواء تعلق الأمر بأدوات الكتابة أو بالمرويات التي شملها التقييد أو بالأفراد الذين اهتموا بنقل التفسير في الكتب والصحف.

ففيما يتعلق بأدوات الكتابة ووسائلها، فقد وجدنا الصدر الأول يصطلحون بـ "الكتاب" على تقييداتهم، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب وابن عباس– رضي الله عنهم –: " قيدوا العلم بالكتاب "[3].

كما تردد عند الصدر الأول مصطلح " الصحيفة "، ومنه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه، ليس في كتاب الله تعالى وهذه الصحيفة.."[4].

كما تردد عند الصدر الأول أيضا مصطلح " الألواح " وكان ابن عباس يسأل أبا رافع عن أحداث عصر النبوة... " ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها "[5].

كما كانوا يصطلحون على الصحف بـ " المجال "، فقد روي عن أنس بن مالك أنه كان يخرج " مجال " من كتب، ويقول: " هذه كتب سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأناها عليه "[6]؛ وفي رواية "جاء بصكاك فألقاها إليهم..."[7].

وأشهر الصحابة الذين بلغنا أنهم كتبوا التفسير:

1 – علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت40هـ) فعن أبي جحيفة قال: (قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه

الصحيفة...)[8].

وفي السنن الصغرى للنسائي، قال علي رضي الله عنه: (... لا إلا ما كان في كتابي هذا، فأخرج كتابا من قراب سيفه...)[9].

قال ابن حجر في فتح الباري: " قوله: إلا كتاب الله " هو بالرفع، وقال ابن المنير: فيه دليل على أنه كان عنده أشياء مكتوبة من الفقه المستنبط من كتاب الله، وهي المراد بقوله (أو فهم أعطيه رجل) لأنه ذكره بالرفع..."[10].

2 - أبي بن كعب رضي الله عنه (ت12هـ) فقد ذهب بعض المؤرخين ممن كتبوا عنه إلى القول بأنه له " نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه "[11]، ونسبت هذه الصحيفة إلى أبي العالية رفيع بن مهران (ت90هـ) الذي رواها عنه، ففي ترجمة أبي العالية ضمن " طبقات المفسرين " قال الداودي: "... وله تفسير رواه عنه الربيع بن أنس "[12].

3 - ومن الصحابة الذين كتبوا التفسير عبد الله بن العباس رضي الله عنهما (ت68هـ): وقد عدّه محمد فؤاد سزكين: أول من كتب التفسير هذا فضلا عن " أماليه " التي دونها تلاميذه، قال سزكين: " والمؤكد أن التفسير الذي رواه علي بن أبي طلحة الهاشمي (ت120هـ) منسوبا إلى ابن عباس هو من تدوين ابن عباس نفسه "[13]. وفي ترجمة كريب بن أبي مسلم مولى ابن عباس (ت97هـ) عند ابن سعد في الطبقات ما يرجح ما ذهب إليه د. سزكين.

أخرج محمد بن سعد عن موسى بن عقبة (ت141هـ) قال: " وضع عندنا كريب حمل بعير أو عدل بعير من كتب ابن عباس. قال: فكان علي بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إلي: ابعث إلي بصحيفة كذا وكذا، قال: فينسخها فيبعث إليه بإحداهما "[14].

لكن صحف الصحابة وتسجيلاتهم ما كانت تتبع تفسير القرآن سورة سورة وآية آية، بل تقتصر على بعض القرآن، لقرب عهدهم من عصر النبوة ثم معرفتهم باللسان عامة، فقد كان تقييدهم يتوقف عند شرح غريب المفردات والاستشهاد لذلك[15].

المطلب الثاني

التفسير في طور التدوين

ويعني التدوين جمع التفسير مرتبا منظما مع الحرص على أن يكون الجمع شاملا لأغلب سور القرآن، وظهر مع المدونات الأولى في التفسير:

- اتخاذ المسودات لجمع المرويات.
- ظاهرة استنساخ الكتب والصحف.
- كتابة الأمالي.

وقد امتد طور التدوين منذ عصر صغار الصحابة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري حتى آخر القرن الثاني، حيث ألّفت خلال هذه الفترة الكثير من المدونات، بعضها لازال محفوظا إلى اليوم. وبعضها تم استيعابه من قبل المصنفين الأوائل كابن جرير وابن أبي حاتم، وقليل من هذه المدونات لا نملك اليوم إلا بعض أخبارها نقلتها كتب تاريخ الرواة...

فأما اتخاذ المسوّدات فقد كان الدافع إلى ذلك الرغبة في تنقيح التحرير أو عدم وجود مواد الكتابة، وقد يكون الدافع أيضا أحوال الكتابة والتدوين كالكتابة في الليل أو في أثناء السفر، وكان المدونون الأوائل من مفسري طبقة كبار التابعين يحرصون على إجادة تحرير مدوناتهم لذلك لجأوا إلى المسوّدات.

أخرج الخطيب عن ابن جبير قال: "كان ابن عباس يملي علي في الصحيفة حتى

أملؤها، وأكتب في نعلي حتى أملؤها "[16]

عنه أيضا قال: " كنت أسمع من ابن عمر وابن عباس الحديث بالليل فأكتبه في واسطة رحلي حتى أصبح و أنسخه "[17]

وأما الاستنساخ، فقد كان علماء التابعين يسمحون به لمن وثقوا في نقله وضبطه، أخرج الخطيب عن عبيد بن مهران المكتب قال:" رأيتهم يكتبون التفسير عند مجاهد "[18]

وعن أبي يحيى الكناسي قال: "كان مجاهد يصعد بي إلى غرفته، فيخرج إليَّ كتبه، فأنسخ منها"[19]

أما الأمالي فقد أكثر منها التابعون...، أخرج الطبري عن أبي مليكة قال: رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول ابن عباس أكتب..."[20]

وأخرج الدارمي عن سليمان بن موسى:" أنه رأى نافعا مولى ابن عمر يملي علمه ويكتب بين يديه "[21]

وفي " جامع بيان العلم" قال ابن وهب: وأخبرني السدي عن يحيى عن الحسن أنه كان لا يرى بكتاب العلم بأسا، وقد كان أملى التفسير فكتب "[22]

وأهم التفاسير في عصر التدوين:

- تفسير سعيد بن جبير الأسدي (ت94هـ)؛ وهو موضوع الدراسة.
- تفسير مجاهد بن جبر المخزومي المكي (ت104هـ)[23].
- تفسير الحسن البصري (ت 100هـ)[24].
- تفسير عطية بن سعد (ت111هـ)[25].
- تفسير قتادة بن دعامة السدوسي (ت118 هـ)[26].
- تفسير محمد بن كعب القرظي (ت118 هـ)[27].
- تفسير إسماعيل بن عبد الرحمن السدي (ت128هـ)[28].

- تفسير واصل بن عطاء المعتزلي (ت131هـ)[29].
- تفسير عطاء بن أبي مسلم الخرساني (ت 135هـ)[30].
- تفسير الربيع بن أنس (ت139هـ)[31].
- تفسير علي بن أبي طلحة (ت143هـ)[32].
- تفسير عبد الملك بن جريج (ت194هـ)[33].
- تفسير عمرو بن عبيد المعتزلي (ت144هـ)[34].
- تفسر مقاتل بن سليمان البلخي (ت150هـ)[35].
- تفسير مقاتل بن حيان (ت150هـ)[36].
- تفسير زيد بن أسلم (ت182هـ)[37].
- تفسير يحيى بن سلام (ت200هـ)[38]...

المطلب الثالث

مدونة سعيد بن جبير في التفسير

سبقت الإشارة إلى أن التدوين هو الجمع الشامل من غير أن يقصد صاحبه الاستيعاب. وكان التدوين في الصدر الأول يصطلح به على وضع الكتب التي يدون فيها العلم وجمعها.

ففي " أساس البلاغة ":" دون الكتب: جمعها "[39].

وفي " بصائر ذوي التمييز ": " والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها "[40].

وفي قول ابن الأعرابي " الكاتب عندهم: العالم، وبه فسر قوله تعالى: { أم عندهم الغيب فهم يكتبون }[41] " [42]

كما نجد في السنة المشرفة ما يفيد بأن الديوان هو الكتاب، ففي حديث غزوة تبوك عن عبد الله بن كعب بن مالك (... والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ – يريد الديوان– ...)[43].

ومن أوائل المدونات التي جمعت مرويات التفسير في النصف الثاني من القرن الأول الهجري مدونة سعيد بن جبير الأسدي (ت94هـ) وقد وردت أخبارها في بعض كتب الجرح والتعديل، أما مروياتها فقد نقلها ابن أبي حاتم الرازي (ت327هـ) ضمن تفسيره "تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين"، وعن هذا المصدر أخذها الذين جاءوا بعد ابن أبي حاتم من المفسرين خصوصا الحافظ ابن كثير (ت774هـ) في " تفسير القرآن العظيم "، والحافظ السيوطي (ت911هـ) في " الدر المنثور".

وامتاز تفسير ابن أبي حاتم الرازي بأنه جمع بين دفتيه تفسير الكتاب بالسنة وآثار الصحابة والتابعين بالإسناد، وحفظ لنا هذا التفسير كثيرا من التفاسير المفقودة مثل تفسير سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان وغيرهما.

وتأتي أهمية مدونة سعيد بن جبير في التفسير– موضوع البحث – من اعتبار ابن جبير رحمه الله أعلم التابعين بالتفسير، يقول الإمام السيوطي: (كان قتادة يرى أن سعيد ابن جبير أعلم التابعين بالتفسير)[44].

وتتمثل أقدميته في كونه أول تفسير كتب للقرآن الكريم، فابن عباس لم يكتب تفسير القرآن. وتؤكد المصادر أن سعيد بن جبير أول من كتب التفسير، يقول ابن سعد: قال عبد الرحمن بن مهدى عن عبد الواحد عن وقاء بن إياس قال ، رأيت عزرة يختلف إلى سعيد ابن جبير معه التفسير في كتاب ومعه الدواة يغير"[45]. ويذكر ابن النديم أن لسعيد بن جبير كتابا في التفسير[46].

ويذهب إلى تأييد هذا القول بعض الباحثين المحدثين. ففؤاد سزكين يقول: لقد كتب معاصرو ابن جبير أنه كان دائما يراجع تفسيره[47].

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن عبد الملك بن جريج (ت 149هـ) هو أول من ألف في التفسير[48]. ويرى غيره أن مقاتل بن سليمان البلخي (ت150هـ). أول من فسر القرآن تفسيرا كاملا[49]. فإذا كانت المصادر تشير إلى أن ابن جبير دون التفسير. وتاريخ وفاته سنة (94هـ). فهو أحق باحتلال مركز الصدارة في تاريخ تدوين التفسير للقرآن الكريم.

المبحث الثاني

مدونة ابن جبير في التفسير: روايتها ورواتها بمصر

ساهمت عدة عوامل في استمرار الجهل بهذه المدونة بين أكثر الدارسين المعاصرين، ولعل أهم هذه العوامل:

- تفرق أخبار هذه المدونة في بطون كتب التراجم.
- تأخر جمع تفسير ابن أبي حاتم الرازي وتحقيقه ونشره.

وما يُعرف عن مدونة سعيد بن جبير في التفسير أنها ظلت بعد تقديمها لعبد الملك بن مروان حبيسة خزانته الخاصة حتى ظفر بها عطاء بن دينار الهذلي (ت126 هـ)، فنقلها من الشام إلى مصر وهناك رواها وسمعها منه أهل الفسطاط.[50]

المطلب الأول

انتقال تفسير ابن جبير إلى مصر

لم يعرف لعطاء بن دينار سماع من ابن جبير، لذلك أثبت مترجموه في كتب الرجال أنه

إنما روى تفسير سعيد " وجادة"، فبعدما أخذ المدونة إلى مصر، سكن الحمراء من أحياء مدينة الفسطاط حاضرة مصر إذ ذاك، وهناك تناقل مروياتها عنه علماء مصر حتى عصر ابن أبي حاتم (ت 327هـ)، الذي أدخلها في تفسيره.

وبالرجوع إلى مختلف أمهات التفاسير نجد أن تفسير ابن جبير الذي رواه عطاء ظل يتناقله المصريون حتى القرن الثالث الهجري.

فالأسانيد التي روى بها ابن أبي حاتم هذا التفسير كلها تنتهي إلى أحد أعلام الرواة من أهل مصر.

والروايات القليلة التي تضمنها" جامع البيان" للطبري (ت 310 هـ)، كلها أيضا تنتهي إلى المصريين.

ومع شهرة هذا التفسير بين علماء مصر فإنه لم يكتب له البقاء كما أراده ابن جبير، إذ لا نكاد نجد أخباره إلا بعد القرن الثالث الهجري حين سمعه أبو زرعة الرازي (ت 204هـ)، في رحلته إلى مصر والحجاز ما بين سنة سبع وعشرين ومائتين وسنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة[51].

وعن أبي زرعة وابن خالته أبي حاتم أخذه عبد الرحمن بن أبي حاتم فضمّنه تفسيره الذي يعدّ حتى اليوم- فيما أعلم- الأثر الوحيد الذي احتفظ لنا بمرويات مدونة سعيد بن جبير الأسدي في التفسير.

المطلب الثاني

رواة تفسير ابن جبير في الفسطاط

بالرجوع إلى "تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين"لابن أبي حاتم الذي ابتدئ في طبعه عام 1408 هـ، نجد بأن تفسير

ابن جبير بعد أن وفد به عطاء بن دينار إلى مصر رواه عنه أهلها، وأشهر من روى هذا التفسير من المصريين عبد الله بن لهيعة ثم حيوة بن شريح وعن هذين اشتهر هذا التفسير كما يدل على ذلك الرسم البياني بعده.

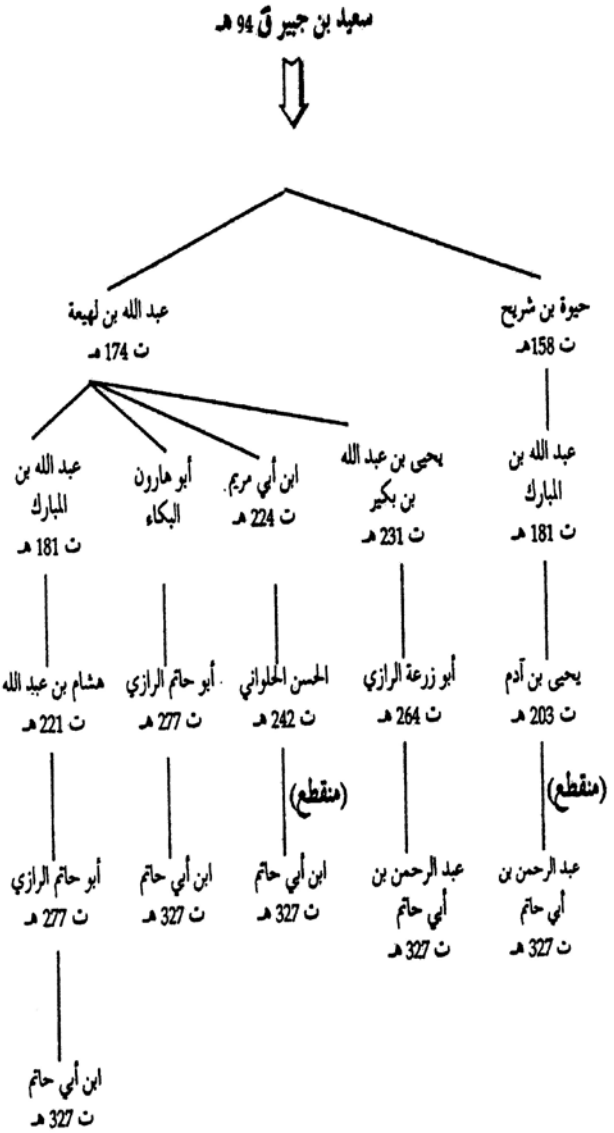

المطلب الثالث

تراجم رواة تفسير ابن جبير[52]

راوي التفسير عن سعيد وجادة هو أبو الريان عطاء بن دينار الهذلي المصري.[53]

قال الذهبي: عطاء بن دينار بصري.[54]

و"الوجادة" هي أدنى مراتب التحمل عند المحدثين[55]، وقد رفض بعض الأئمة اعتبارها.[56]

وعن عطاء رواه حيوة بن شريح التجيبي المصري[57]، وعبد الله بن لهيعة بن عقبة المصري من الطبقة الخامسة عند ابن سعد.[58]

وقد اشتهرت رواية التفسير عن حيوة بن شريح من طريق عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة، أحد الأعلام[59]، وعن ابن المبارك أخذ التفسير يحيى بن آدم ابن سليمان أبو زكريا[60] وعنه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

*** أما رواية ابن لهيعة فقد أخرجها ابن أبي حاتم من أربع طرق:**

1 - طريق يحيى بن عبد الله بن بكير المصري صاحب مالك بن أنس والليث بن سعد[61]، وعنه أخذ التفسير الحافظ عبيد الله بن عبد الكريم أبو زرعة الرازي القرشي[62] وعنه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

2 - طريق سعيد بن الحكم بن أبي مريم محمد المصري[63]، وعنه أخذ التفسير الحسن ابن علي بن محمد أبو علي الخلال الحلواني نزيل مكة[64]، وعنه ابن أبي حاتم.

3 - طريق أبي هارون البكاء وعنه أخذ التفسير محمد بن إدريس المنذر أبو حاتم الرازي الحنظلي[65]، وعنه ابنه عبد الرحمن.

4 - طريق عبد الله بن المبارك وعنه اخذ التفسير هشام بن عبد الله الرازي[66]، الذي

سمعه منه محمد بن ادريس ابو حاتم الرازي وعنه ابنه عبد الرحمن.

المبحث الثالث

مدونة ابن جبير في ميزان علم الرواية

إن الدراسة الاستقرائية لموضوع هذه المدونة ولآثار ابن جبير في مختلف مصنفات العلم تبين لنا بأن علماء السنة النبوية الشريفة حين صنفوا في صحيح الحديث لم يعتمدوا رواية تفسير ابن جبير من طريق عطاء بن دينار، بل أخرجوا مروياته من طرق أخرى كما تشهد لذلك أحاديث التفسير التي أخرجها له البخاري وغيره من الأئمة.

لكن هذا لا يعني إطلاقا الطعن في رواية هذا التفسير عنه لأن أكثر كتب الرجال أثبتت لعطاء بن دينار روايته عن ابن جبير من غير سماع، ومن ثم احتاط علماء السنة الذين صنفوا في الصحيح فحسب فلم يخرجوا شيئا من هذه المدونة التي ستجد طريقها إلى كتب التفسير..

المطلب الاول

رواية مدونة ابن جبير وجادة

قال ابن أبي حاتم في ترجمة عطاء:" سئل أبي عن عطاء بن دينار، فقال هو صالح الحديث إلا أن التفسير أخذه من الديوان، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن فكتب سعيد بن جبير بهذا التفسير فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير.[67]

والوجادة تقال فيما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة[68]، والمتقدمون من أهل الرواية لا يعتبرون الوجادة شيئا وقد حرر مذهبهم القاضي عياض

(ت544هـ)، في "الإلماع"[69] قال ابن الصلاح (ت 643هـ)، من المتأخرين:" مثال الوجادة: أن يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه ولم يلقه، أو لقيه ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطه، ولا له منه إجازة ولا نحوها، فله أن يقول وجدت بخط فلان أو قرأت بخط فلان...، وهو من باب المنقطع والمرسل غير أنه أخذ شوبا من الاتصال بقوله (وجدت بخط فلان).[70]

أما بالنسبة للعمل بالوجادة اعتمادا على ما يوثق به منها فقد خلص ابن الصلاح بعد ذكر الخلاف في المسألة إلى القول: "... فإنه لو توقف العمل فيها على الرواية لا نسد باب العمل بالمنقول لتعذر شرط الرواية فيها على ما تقدم.."[71] . قال محمد عجاج الخطيب بعد استعراض مختلف الأقوال في المسألة :".. وأما ما يتعلق بالعمل فالصحيح الذي عليه المحققون من أهل العلم انه يجب العمل بما يجده متى صح إسناده، والوجادة الموثوق بها التي يطمئن إليها أهل العلم... لا تقل في قيمتها عن التحمل بالإجازة".[72]

المطلب الثاني

أحوال رجال الإسناد

بالنسبة لعطاء بن دينار فقد وثقه أحمد بن حنبل وابن حبان وأبو داود وقال النسائي ليس به بأس، وقال أبو حاتم: هو صالح الحديث[73]، قال البخاري في التاريخ الكبير:"عطاء بن دينار الهذلي عن سعيد بن جبير روى عنه سعيد بن أبى أيوب وعمرو بن الحارث.."[74]

أما الرواة عن عطاء فأولهم حيوة بن شريح، وثقه ابن حنبل ويحيى بن معين وأبو حاتم الرازي وقال فيه ابن حجر: ثقة ثبت فقيه[75].. وعن حيوة روى التفسير عبد الله بن المبارك قال فيه أبو حاتم: ثقة إمام، وقال ابن حجر: ثقة ثبت، وهو ممن أجمع علماء الرجال على

عدالته وعلمه وضبطه.[76]

وعن ابن المبارك أخذ التفسير يحيى بن آدم قال فيه أبو حاتم: كان يفقه وهو ثقة[77] وقال يعقوب بن شيبة: ثقة كثير الحديث، وقال العجلي: كان ثقة جامعا للعلم عاقلا ثبتا في الحديث.[78]

ورجال هذا الإسناد ثقات، إلا أن الراوي عن يحيى بن آدم لم يذكره ابن أبى حاتم في تفسيره حيث قال:" ذكر عن يحيى بن آدم ثنا ابن المبارك...."[79].

الإسناد الثاني عن عطاء بن دينار من طريق ابن لهيعة، وعبد الله بن لهيعة مجرح عند جمهور نقاد الحديث النبوي[80]، قال الداراقطني: يعتبر بما يروي عنه العبادلة ابن المبارك والمقري وابن وهب[81]، وقال غيره يعتد برواية من كتب عنه قبل احتراق كتبه وقبل اختلاطه.[82]

وعن ابن لهيعة روى هذا التفسير يحيى بن عبد الله بن بكير، ضعفه النسائي و أبو حاتم وقال الدارقطني: عندي ما به بأس وذكره الذهبي في " معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد"[83] وعن يحيى روى التفسير أبو زرعة الرازي أحد الجهابذة النقاد[84] وعنه ابن أبى حاتم.

الطريق الثاني عن ابن لهيعة فيه سعيد بن أبي مريم وهو ممن يضبط روايته عن ابن لهيعة[85]، وثقه أبو حاتم قال فيه ابن حجر: ثقة ثبت فقيه[86]، وعن سعيد روى التفسير الحسن الحلواني، قال عنه أبو حاتم صدوق وكتب عنه[87]، وقال ابن حجر: ثقة حافظ[88]، وهذا الإسناد منقطع لان ابن أبي حاتم لم يذكر الراوي عن الحسن الحلواني الذي سمع منه حيث قال: "ذكر عن الحسن بن علي الحلواني عن سعيد بن أبى مريم..."[89]

الطريق الثالث عن ابن لهيعة فيه أبو هارون البكاء وهو موسى بن محمد، قال فيه: أبو حاتم الرازي منكر الحديث[90] وضعفه أحمد، وقال وحيد ليس بشيء، وقال أحمد أيضا

ليس بثقة ولا أمين.[91] وعن أبي هارون روى التفسير حافظ الري أبو حاتم وعنه ابنه عبد الرحمن[92]

الطريق الرابع عن ابن لهيعة فيه ابن المبارك وسبق الكلام في عدالته ومعرفته بما يرويه عن ابن لهيعة... وعن ابن المبارك روى التفسير هشام بن عبيد الله قال فيه ابن أبي حاتم:ثقة يحتج بحديثه وقال فيه أبو حاتم الرازي صدوق[93]، وعن هشام روى التفسير حافظ الري وأحد الجهابذة النقاد أبو حاتم الرازي وعنه ابنه عبد الرحمن.[94]

المطلب الثالث

تقويم رواية هذا التفسير

لعله من الأنسب التنبيه مقدما إلى أن هذه الدراسة اعتمدت في تتبعها لطرق رواية تفسير سعيد بن جبير على الأسانيد التي تضمنها الجزء الأول من تفسير ابن أبي حاتم المطبوع كما سبق وصفه.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ت327هـ) هو أقدم مصدر أشار إلى مدونة سعيد بن جبير- فيما أعلم حتى الآن- وقد وقعت الإشارة إليها في ترجمة عطاء بن دينار (ت 126هـ) راوي المدونة.

من هنا تظهر أهمية اعتماد كتاب أبي حاتم "تفسير القرآن العظيم..." في معرفة أخبار هذه المدونة وطرق نقلها حتى عصور التصنيف، مع العلم أن بعض مروياتها جاءت عند غير ابن أبي حاتم مثل تفسير ابن جرير الطبري (ت310هـ)، وتفسير محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت 318هـ).

وبالنظر إلى مختلف أسانيد هذا التفسير يظهر أن أصحها ما يرويه ابن أبي حاتم عن أبيه عن هشام بن عبيد الله الرازي عن ابن المبارك عن ابن لهيعة عن عطاء عن سعيد بن

جبير،وبعض طرق هذا التفسير ترتقي إلى الحسن كرواية ابن أبي حاتم عن ابن خالة أبيه أبي زرعة عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن ابن لهيعة عن عطاء عن ابن جبير.

على أن الكثير من مرويات تفسير ابن جبير هذا هي في حكم الخبر المنقطع.

ولعل الوقوف على طرق روايته في بقية أجزاء تفسير ابن أبي حاتم تجبر بعض أسباب الضعف في هذا التفسير[95]، كما أن الوقوف على أسانيده في التفاسير الأخرى- غير تفسير ابن أبي حاتم- قد توقفنا على طرق أخرى متصلة لرواية هذا الأثر.

خاتمة الدراسة

كانت هذه الدراسة عن"مدونة سعيد بن جبير في التفسير" محاولة لاستقراء وتتبع طرق وأسانيد التفسير الذي جمعه ابن جبير لعبد الملك بن مروان الأموي في أحد أهم كتب التفسير خلال عصور التصنيف.

على أن إثارة هذا الموضوع بحد ذاته تفرض على دارسي التفسير اليوم أمرين:

* الأول: تكثيف البحث فيما يخص التاريخ لعلم تفسير القرآن خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، فالعديد من آثار التفسير المرتبطة بهذه الفترة المبكرة لازلنا نجهلها أو أن معرفتنا بها جد محدودة.

* الأمر الثاني: تعميق البحث التأصيلي في مجال دراسة التفسير عوض الركون إلى فهارس بعض أمهات التفاسير التي اعتاد بعض المعاصرين انتقاء مادة بعض المدونات التفسيرية منها.

وإنّ المتتبع والدارس لهذا الموضوع لا بد أن يصل إلى الاقتناع بإمكانية الوقوف على "تفسير سعيد بن جبير" الذي رواه عنه وجادة عطاء بن دينار، وأول سبيل يؤدي إلى ذلك

هو البحث الاستقرائي المتأني للمادة العلمية التي جمعها ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره المسند بكامل أجزائه..

فإذا استطعنا الوصول إلى هذه الغاية سيكون بين أيدينا ثاني تفسير ظهر في البيئة الإسلامية- بعد تفسير مجاهد- خلال النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، والله من وراء القصد وهو سبحانه أعلم وأحكم.

الهوامش

(1) انظر: تفسير سعيد بن جبير، ابراهيم النجار، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية 1976م، وانظر مرويات سعيد بن جبير في التفسير: من أول سورة يونس إلى آخر القرآن الكريم، تحقيق ودراسة محمد ايوب محمد يوسف، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية/ 1408هـ

(2) والطبعات المنشورة من الكتاب هي: ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، تحقيق أحمد الزهراني، الطبعة الاولى، الرياض، 1408هـ

– وحقق حكمت بشير ياسين قسما من تفسير ابن أبي حاتم الرازي في رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى بمكة المكرمة نشرت بمكتبة دار طيبة/ الطبعة الاولى، الرياض، 1408هـ

–ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، تحقيق أسعد محمد الطيب، الطبعة الاولى، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، 1417هـ، 1997م

(3) الخطيب البغدادي، تقييد العلم ص88، الطبعة الثانية 1974م، دار إحياء السنة بتحقيق د. العش؛ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (ج1) ص72، دار الكتب العلمية بيروت مصورة عن الطبعة المنيرية.

(4) تقييد العلم ص٨٨؛ وفي ترجمة مجاهد بن جبر عند ابن سعد أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه كانت له صحيفة قيل بأن مجاهد يأخذ منها التفسير. الطبقات الكبرى (ج5) ص319 الطبعة الأولى 1417هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(5) تقييد العلم، ص29.

(6) المجال " جمع مجلة وهي الصحيفة. تقييد العلم ص95.

(7) صكاك " و" صكوك " جمع صك وهو الكتاب، ويصطلح به على ما يكتب للعهدة. الزبيدي تاج العروس مادة صك، وانظر الحديث في تقييد العلم ص96

ومن المصطلحات التي استعملت للدلالة على وسائل الكتابة بعد عصر الصحابة " الكراريس " و " السبورة " و " القرطاس "...، وقد استعملت هذه الوسائل من قبل التابعين. انظر سنن الدارمي، المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث، الحديث رقم470؛ وباب رخص في كتابة العلم حديث رقم 498، 516

(8) الحديث أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب العلم باب كتابة العلم، حديث رقم (111).

(9) أخرجه النسائي في السنن، كتاب القسامة باب القود بين الأحرار والمماليك. حديث رقم (4734).

(10) انظر كلام ابن المنير وتعقيب ابن حجر عليه في فتح الباري (ج1) ص204–205. نشر دار الفكر بيروت مصورة عن الطبعة السلفية.

(11) حاجي خليفة، كشف الظنون (ج1) ص عمود 429 طبعة دار الفكر بيروت 1402هـ، والذهبي، التفسير والمفسرون (ج2) ص93و115، الطبعة الثانية 1396هـ دار الكتب الحديثة، القاهرة...

(12) طبقات المفسرين (ج1) ص179، دار الكتب العلمية بيروت.

- وانظر في الموضوع: هرماس، مدرسة التفسير بالمدينة المنورة خلال القرن الأول الهجري، ضمن دورية " الدارة " الرياض العدد 23ص14 وما بعدها.

(13) سزكين، تاريخ التراث العربي (ج1) ص45، الهيئة المصرية العامة للكتابة القاهرة.

(14) ابن سعد: الطبقات الكبرى (ج5) ص144.

(15) سزكين، تاريخ التراث (ج1) ص41 .

(16) تقييد العلم ص102؛ ابن عبد البر، جامع بيان العلم (ج1) ص72؛ الدارمي، السنن (ج1) ص135 ...

(17) تقييد العلم ص102...

(18) المصدر السابق، ص105

(19) المصدر السابق، ص105

(20) الطبري، جامع البيان (ج1) ص90،طبعة دار المعارف القاهرة تحقيق محمود وأحمد شاكر 1374 هـ

(21) الدارمي، السنن، مقدمة، باب من رخص في كتابه العلم حديث رقم 513.

(22) ابن عبد البر، جامع بيان العلم (ج1) ص74.

(23) حقق تفسير مجاهد مرتين الأولى بتحقيق عبد الرحمن السورتي ونشرته مديرية الشؤون الدينية بقطر عام 1394هـ، وحقق ثانية من قبل د. عبد السلام أبو النيل وطبع من طرف لجنة التراث بدولة الإمارات...

(24) قام د. محمد عبد الرحيم بجمع مرويات التفسير في مختلف كتب العلم ونشرته دار الحديث بالقاهرة في مجلدين.

(25) محمد فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي (ج1) ص50...

(26) الداودي، طبقات المفسرين (ج2) ص47.

(27) سزكين، تاريخ طبقات المفسرين (ج1)ص110.

(28) الداودي، طبقات المفسرين (ج1)ص110.

(29) الداودي، طبقات المفسرين (ج2) ص357.

(30) الداودي، طبقات المفسرين(ج1)ص385.

(31) سزكين، تاريخ التراث (ج1)ص385

(32) انظر ما كتبه عن هذا التفسير د. محمد كامل حسين ضمن معجم غريب القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي ص14-27 طبعة دار الحديث القاهرة

(33) جمعه من كتب التفسير المتأخرة علي حسن عبد الغني، وطبعته مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة عام 1403هـ.

(34) ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج3) ص 462 طبعة دار الثقافة بيروت.

(35) حقق هذا التفسير د. عبد الله محمود شحاتة ونشره عام 1969م بالقاهرة في جزئين.

(36) سزكين، تاريخ التراث (ج1) ص60...

(37) الداودي، طبقات المفسرين (ج1) ص182.

(38) حقق هذا التفسير من قبل د. هند شلبي ونشر بتونس، وأعيد تحقيقه في رسالة بدار الحديث الحسنية بالرباط ولم تنشر فيما أعلم.

(39) الزمخشري، أساس البلاغة مادة دون، (ج1) ص289، الطبعة الثالثة 1985م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

(40) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز (ج4) ص332، دار الكتب العلمية بيروت.

(41) سورة القلم، الآية 47.

(42) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز (ج4) ص330.

(43) الإمام البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي باب حديث كعب، حديث رقم 4418.

– وانظر شرح الحديث عند ابن حجر في فتح الباري (ج8) ص117–118، دار الفكر مصورة عن الطبعة السلفية.

(44) الإتقان في علوم القرآن 241/4.

(45) الطبقات الكبرى 266/6

(46) الفهرست ص50.

(47) تاريخ التراث العربي 185/1.

(48) إبراهيم النجار، تفسير سعيد بن جبير، ص43 جامعة القاهرة 1976م

(49) ابن نجيم، الأشباه والنظائر ص66.

(50) انظر: هوماس، لمحات عن المدونات الأولى في التفسير.. مجلة الشريعة جامعة الكويت، العدد27 ص 71–72.

(51) انظر الكلام عن هذه المرحلة في: ابن أبى حاتم، الجرح والتعديل ج 1 ص 340، طبعة مصورة عن الهندية.

(52) كنت قد اشتغلت في هذا الموضوع مع الطالب محمد سعيد في بحث مشروع التخرج خلال الموسم الجامعي(98–99) في جامعة آل البيت في الأردن.

(53) ابن حجر، لسان الميزان ج7 ص 305، الطبعة الثانية مؤسسة الأعلمي بيروت 1390هـ.

(54) الذهبي، ميزان الاعتدال ج 3 ص 69 ترجمة 4638.

(55) انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص 157، المكتبة العلمية بيروت 1401بتحقيق د. نور الدين عتر.

(56) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية ، باب القول في الرواية عن الوصية بالكتب ص 353،المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

(57) انظر ترجمته في :الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ج 3 ص 306، ابن حبان مشاهير علماء الأمصار ص 187، ابن سعد الطبقات الكبرى ج7 ص 515.

(58) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 7 ص 516، ابن أبى حاتم، الجرح والتعديل ج 6 ص 332، الذهبي، ميزان الاعتدال ج3 ص 69–70..

(59) البخاري، التاريخ الصغير ج 2 ص 205، الرازي، الجرح والتعديل ج 3 ص 306..

(60) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج9 ص 129...

(61) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج2 ص 317.

(62) ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج9، ص 331.

(63) المزي، تهذيب الكمال ج 7 ص 168.

(64) ابن حجر، تقريب التهديب ج1، ص 168...

(65) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج1 ص 349-367..

(66) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج 9ص 67.

(67) انظر : ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج6 ص 332، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 4 ص 128.

(68) التبصرة والتذكرة، ج 2ص 111، طبعة فاس 1354هـ.

(69) القاضي عياض، الالماع ص 120 تحقيق السيد احمد صقر، دار التراث القاهرة.

(70) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص 158.

(71) المرجع السابق ص 160، وانظر كذلك ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ص 122-123 نشر دار الفكر.

(72) محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث، ص 246، طبعة دار الفكر.

(73) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج6 ص 332، ابن حجر، تهذيب التهذيب ج7 ص 179...

(74) البخاري، التاريخ الكبير، ج 6 ص 476، نشر دار الكتب العلمية بيروت.

(75) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ج 3 ص 307، ابن حجر، تقريب التهذيب ج1 ص 208.

(76) الجرح والتعديل، ج9، ص 180-181، تقريب التهذيب ،ج1 ص 445.

(77) الجرح والتعديل، ج9 ص 128.

(78) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 6ص 114.

(79) ابن أبي حاتم،تفسير القرآن العظيم،ج1 ص 337، الطبعة الأولى، 1408 الرياض بتحقيق أحمد الزهراني.

(80) الجوزجاني: أحوال الرجال ص 155، البخاري، الضعفاء الصغير ص 96، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ج 5 ص 146-147..

(81) الضعفاء والمتروكين ص 115 طبعة الرسالة بيروت بتحقيق السامرائي.

(82) الجرح والتعديل،ج5 ص 147.

(83) الذهبي، معرفة الرواة... ص 88، دار المعرفة بيروت.

(84) انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ،ج 1 ص 331-349.

(85) المصدر السابق، ج5 ص 146.

(86) الجرح والتعديل،ج4 ص 14، ابن حجر، تقريب التهذيب، ج 1 ص 193.

(87) الجرح والتعديل،ج 3ص 12.

(88) تقريب التهذيب، ج 1 ص 168.

(89) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج1 ص 146، تحقيق احمد الزهراني.

(90) الجرح والتعديل، ج9 ص 362.

(91) الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج6 ص 561، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 1، 1995م، تحقيق علي معوض وعادل احمد.

(92) ابن أبى حاتم،تفسير القرآن العظيم، ج1، ص39، تحقيق أسعد محمد الطيب.

(93) الجرح والتعديل، ج9 ص67.

(94) ابن أبي حاتم،تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 481، تحقيق أسعد محمد الطيب.

(95) اعتمدت على الجزء الأول منه فقط وبين يدي بقية الأجزاء حيث لم يتيسر لي الاستفادة منها، فلعله يتيسر لغيري والله الموفق.